هبه رضا عمر
رواية
وَحِيدٌ
- رُبَّمَا تَظُنُّ أَنَّهَا مُجَرَّدُ صِفَةٍ , لَكِنَّ هَذَا أَنَا -
تصميم الغلاف
رانيا أحمد القرشي

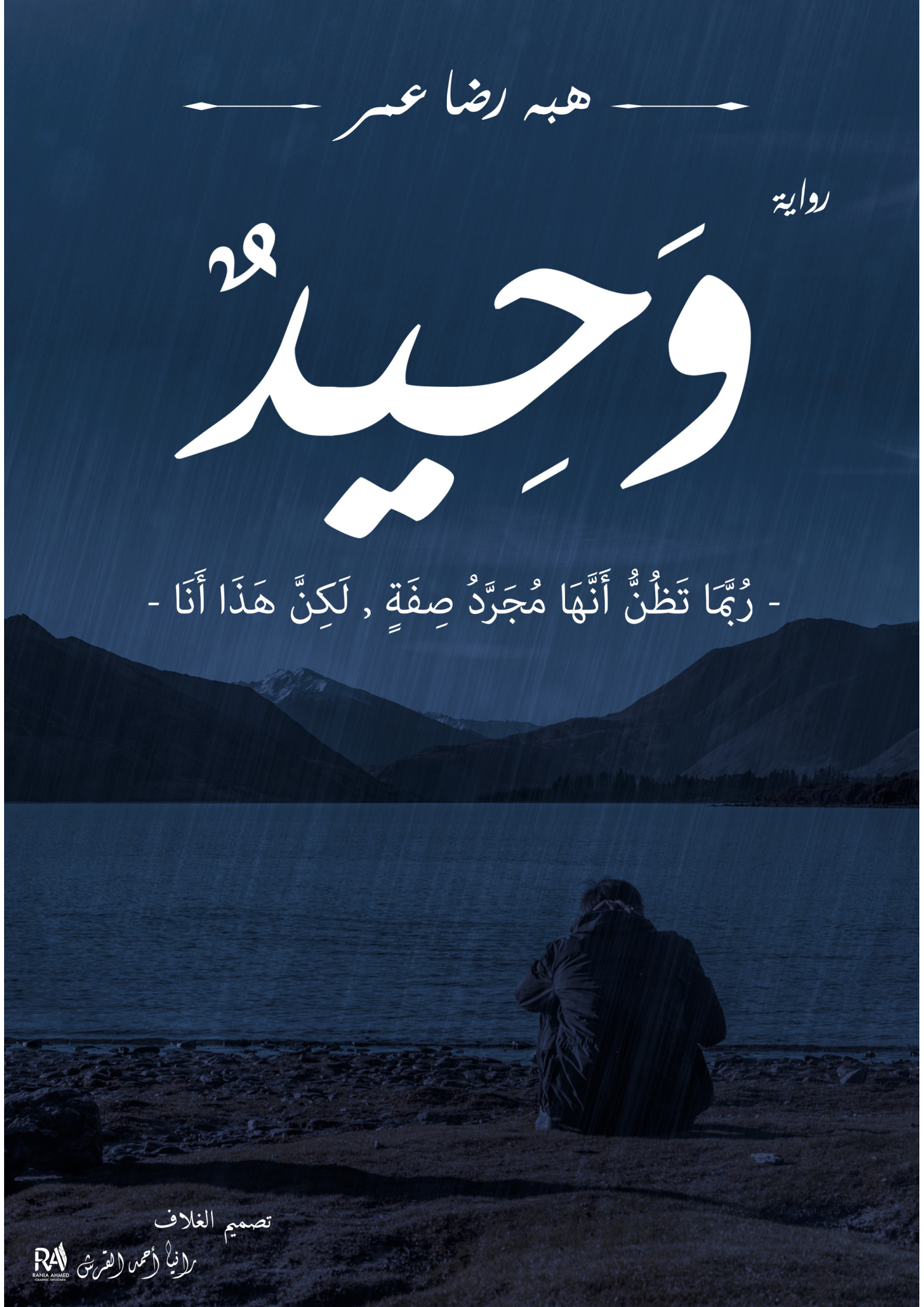

روايه وحيد

عنوان الرواية : وحيد

الكاتبة : هبه رضا محمد عمر

المدققة اللغوية : فيروز حسن

مصممة الغلاف : رانيا أحمد القرش

منسقة الكتاب الداخلي : ياسمين عبدالله

في البداية لأعرفكم بنفسي ، أنا وحيد
وهل تعلمون ، لهذا الاسم شيء جيد في قلبي
على الرغم من أنه يحمل جرعة زائدة من الكآبة
وربما مجرد ذكره يعطي طاقة سلبية كبيرة
لكنني سعيد بهذا الاسم
لأنه وبالرغم من كل شيء حدث لي
ولم يكن بإرادتي أو أجبرت على عَيشه
لقد نجحت أخيراً في اختيار شئ لنفسي
أنا شخص يقف في منتصف طريق مسدود
لا يستطيع العودة إلى الديار ولا يستطيع إكمال الطريق
وكيف أعود إلى دياري وأنا لا أعرف أصلاً من أنا
ومن هي عائلتي ، أين ولدت ، وكيف أتيت
شخص مجهول الهوية
لا يعرف عن نفسه شيء سوى أنه وحيد
وحيد في هذا الكون الكبير ، تائه ومشرد وبائس
لذا إذا سألني أحدهم من أنت ؟
لا أفكر كثيراً أنا وحيد .

بدأت السماء بالاختفاء خلف السحب الداكنة
وصارت مظلمة كالحبر المطبوع
كانت الساعة لا تتجاوز الخامسة عصراً
لكن السماء كانت مظلمة كالليل
وهذا نذير مشؤوم لعاصفة أواخر سبتمبر
ستجلب هذه العاصفة
ما لا يقل عن ست بوصات من الأمطار في الساعة
بالإضافة إلى الرياح الشديدة والرعد والبرق
وبعد مرور القليل من الوقت انطفأت الأنوار
كل ما تبقى هو الظلام
ولهب تلك الشمعة الضعيف الذي يثير حزني
الصمت الموجود في المنزل يعذبني
والريح التي تأتي من خلال الشقوق في النافذة
تدفعني للجنون
والأسوء من ذلك كله
هو عدم معرفة متى سينتهي هذا الظلام .

شخص ما قال لي ذات مرة :
" السحب الداكنة في سماء الليل ،
ستعود بيضاء مشرقة في الصباح "
أعتقد أنه يكذب أو ربما انطفأت الأضواء بداخلي .

الوقت لا يمر ومازالت السماء تمطر في الخارج
والطقس بارد ، استلقيت على السرير
واغمضت عيني وأنا استجدي النوم ويأبى
فبقيت مستيقظاً أحدق في سقف الغرفة المعتمة .
في الصباح استيقظت وكنت مستلقياً على ظهري
بدا لي أنني بمشفى وبينما كنت أحرك رأسي
شعرت بألم رهيب وكنت أجد صعوبة في التنفس
وبدأت أشعر بالخوف ، حاولت أن أتذكر شيء
ولكن آخر شيء أتذكره هو أنني كنت موجود في غرفتي
لكن ما الذي جاء بي إلى هنا ؟
لم أكن أتذكر ما الذي حدث لي بعد ذلك .
قاطع تفكيري صوت الممرضة وهي تقول :
لقد استيقظت أخيراً
أنت محظوظ لأنك على قيد الحياة .
أخبرتها بأنني أشعر بألم شديد في رقبتي
فقالت :
ـ سيحضر الطبيب لرؤيتك الآن .

كان مجرد التحدث صعب للغاية
حاولت أن أسأل عما حدث لي فلم أستطع
فأغمضت عيناي بينما أحاول أن أتذكر ما حدث
هل تعرضت للسرقة ؟ أو دخلت في شجار ؟
الفكرة التالية التي خطرت على بالي
هو أنني ربما تعرضت للطعن في رقبتي
أو ممكن أن تكون نتيجة محاولة شخص ما خنقي .
كانت الغرفة مليئة بالناس ،
ولكن لا يبدو أن أحداً كان ينظر في إتجاهي
لذلك أنزلت ساقي وجلست
كان هناك أشخاص مستلقين على أسرَّة
وبعضهم يجلسوا على الكراسي المتحركة
وفجأة شعرت بالإغماء والغثيان
لطالما كنت أكرة رائحة المستشفيات
لذا حاولت النهوض لأغادر من هذا المكان
ولكن شعرت بأنني سأفقد الوعي

فجلست مرة أخري بسرعة
وانتظرت أن يتلاشى هذا الشعور .
ثم جاء الطبيب وسألني عما يمكن أن أتذكره
عن أحداث يوم أمس قبل أن استيقظ وأجد نفسي هنا
قلت لا شيء .
فقالي لي :
لقد حاولت شنق نفسك على ما يبدو
وقد لحقك أحد جيرانك وجاء بك إلى هنا
أنت محظوظ جداً لكونك مازلت على قيد الحياة .
" محظوظ "
كان هذا ما قالته لي الممرضة أيضاً
لكن إذا كنت شخص محظوظ كما يقولون
فلماذا حاولت الإنتحار ؟ !
أنا أذكر أنني كنت في ذلك اليوم مستيقظ
وبداخلي شعور عميق باليأس
لدرجة أنني لم أكن أعرف كيف سأتجاوزه
وأمضي قدماً في حياتي

في الواقع لقد حاولت أن أقتل نفسي عدة مرات
كان أولها عندما كنت صغيراً
لكنني لم أكن وقتها أرغب حقاً في الموت
بل كان كل ما أريده هو أن أتخلص من الكوابيس
وذكريات الماضي التي كانت تلاحقني .

عدت للمنزل وكنت أشعر بالضياع والعجز
وكأنني في قاع بئر منسي
أحاول دائماً تسلقه ، لكنني أسقط في كل مرة
حتى أنني لم أنم في كثير من الأحيان في الليل
وفي الصباح بالكاد أمتلك طاقة كافية
لسحب نفسي من السرير
لذلك توقفت عن الذهاب للعمل
وقد استمريت على هذا الحال لأيام عديدة .
وفي يوماً ما في الصباح ،
استيقظت وأنا أرتجف من البرد ،
ولسوء الحظ لا توجد مدفأة في المنزل
شعرت بجوع مفاجئ فذهبت إلى المطبخ
لم أجد شيء لأتناوله ،
فقمت بإعداد كوب من الشاي الساخن
على الأقل سيفيدني في هذا البرد .
ثم طُرق باب المنزل ،
وكنت أعرف من الطارق وأعرف ماذا يريد .

نظرت إلى محفظتي لم يكن معي مال يكفي
الآن ماذا سأقول له ؟ ! ماذا سأفعل ؟ !
كنت متوتراً وشعرت أنني محاصر
أخذت نفساً عميقاً وفتحت الباب
فرأيت السيد عباس صاحب البيت كما توقعت .
لقد كان رجلاً ضخماً
طويل القامة ، قوي البنية ،
لديه لحية رمادية تغطي معظم وجهه .
وكان يريد مني أن أدفع له الإيجار المتراكم عليَّ
فأعتذرت منه على تأخري في الدفع
وطلبت منه أن يعطني المزيد من الوقت
لأكوِّن له المبلغ ، فحذرني بأن تكون آخر مرة ،
وأعطاني مده أسبوع واحد لأسدد له الدين بالكامل .
ولكن كيف سأسدد ديني لعباس
خلال أسبوع واحد فقط ؟ !
أدركت أنه حان وقت العودة للعمل

أنا شخص عشت وكبرت في الميناء ،
لطالما كان البحر كل شيء بالنسبة لي
لذا عملت بالصيد منذ أن كنت في التاسعة من عمري .
فتحت التلفاز على قناة النشرة الجوية
لأرى حالة البحر قبل قيامي برحلة الصيد
وقد أعطى المذيع تقريراً مفصلاً عن حالة الطقس
وكان غير مستقر
وهذا يمنع الصيادين من دخول البحر
وذلك لأنه يشكل خطراً عليهم .
في صباح اليوم التالي ، استيقظت الساعة الرابعة فجراً
وذلك لأن أفضل وقت للصيد
يكون في ساعات الصباح الباكر .
خرجت من المنزل حاملاً شباكي
وكان المنزل يقع عند بداية الرصيف
في الجزء المهجور من الميناء
وصلت لقاربي وقمت بدفعه لعرض البحر
وبدأت بالتجديف .

كانت الشمس تشرق في الأفق
وكان شروقها بمثابة تذكير مهم لي
بأنه على الرغم من وجود ألم في الليل ،
أَلا أنَّ الشمس تأتي في الصباح .
استمرت رحلة الصيد أكثر من عشر ساعات
وهذه فترة طويلة ومتعبة
فالعمل على المجاديف أمر مرهق ،
ولكنني كنت سعيد بأنني أخيراً بدأت في العودة إلي حياتي .
ذهبت إلى سوق المدينة فور عودتي من الصيد
إنه سوق كبير يأتي إليه الكثير من الناس
لذا لم استغرق وقتاً طويلاً لبيع جميع الأسماك .
عدت إلى المنزل متعباً استحممت وزحفت إلى الفراش
بصعوبة دون تناول العشاء ، وغرقت في نوم عميق .

استيقظت في الصباح على صوت جرس الباب
في الواقع أصبحت اتشاءم كثيراً من هذا الصوت
حتى أنني فكرت ألا أفتح الباب
فأنا منذ مجيئي إلى هنا لا أري سوي وجه عباس
ولكن ما الذي جاء به مرة أخرى
ألم ينتهي من توبيخي بعد ؟
فتحت الباب وكانت المفاجأة هنا
عندما عرفت مَن الطارق
فهو لم يكن عباس هذه المرة بل كان العم يونس .
من هو العم يونس ؟ ومن أين أعرفه ؟
هذه قصة طويلة ولكني سأخبركم بها .

في ذلك الوقت كنت طفلاً بلا مأوى
مشرد أعيش في الشارع وأنام على الرصيف
أو ينتهي بي المطاف في قبو أو حديقة
كان الجميع يعاملني كالمنبوذ لا أحد يقترب مني
حتى الأطفال كانوا يرفضون اللعب معي
وكنت أري الآباء يقضون الكثير من الوقت
يلعبون ويتحدثون مع أطفالهم
أما أنا فليس لديَّ أحد ، لقد عانيت كثيراً
وكنت أكره الليل بشدة ، ليس فقط لأنه مظلم
فغالباً كنت أقضيه أرتجف من البرد
كانت حياتي صعبه للغاية تماماً كالجحيم .
وفي يوم من الأيام طاردتني مجموعة من الشباب
ولأنهم كانوا عدداً كبيراً بدأت بالهرب
ودخلت إلى حديقة بيت قديم ثم وقعت في بئر
لم أره بسبب الشجيرات وبعدها فقدت الوعي
أعتقد الشباب أنني مت فتركوني وذهبوا

عندما أستعدت وعيي كان الليل قد حل
وفي ذلك الوقت كنت أخاف من الظلام
صرخت كثيراً ولكن لم يأت أحد لمساعدتي ،
وقد أنكسرت قدمي أيضاً
كنت أعتقد أنني سأموت في هذا البئر
وبعد ساعات طويلة سمع أحدهم صراخي أخيراً
ورمى لي حبلاً وأخرجني من ظلمة البئر
وكان ذلك الشخص هو العم يونس
الذي أخذني إلي بيته وأهتم بي حتى شُفيت قدمي .
كانت هذه المرة الأولى التي أشعر فيها بالاهتمام
لطالما كان الجميع يبتعد عني وكأنه رأى طيف
كنت دائماً غير مرئي للجميع .
ومنذ ذلك اليوم أصبح العم يونس
شخص عزيز جداً على قلبي .
لقد مرَّ الآن أكثر من عشر سنوات
وبالرغم من ذلك لم تنقطع علاقتي به

أنا شخص صامت طوال الوقت ، لا أتحدث مع أحد
ولكن كان ذلك باستثناء العم يونس
فكلما سئمت من التحدث إلى نفسي ذهبت إليه
فمذ تعرفت عليه أصبحت كلماته وحكمته
بمثابة مسكن لآلام روحي .
وغير ذلك هو رجل طيب ، هادي الملامح
بشوش مبتسم الوجه يبلغ من العمر ستون عام تقريباً ،
يرتدي نظارة طبية ودائماً ما أراه يستند على عكاز
لكن صحته جيدة .
وبينما لم أكن أعرف مَن والدي قابلت العم يونس
الذي أصبح الأب الوحيد الذي عرفته
والذي كان يرشدني خلال أيامي المؤلمة
عندما كنت أعتقد أنني لن أتمكن من الاستمرار في حياتي .

ـ العم يونس ! ! أهلاً بك لقد فاجأني مجيئك
علاوة على ذلك في هذا البرد .
= أهلاً بك يا بني ، أين كنت ؟ لم أرك منذ شهرين ،
ولم أستطع الوصول إليك ، أتصلت بك عدة مرات
وكان هاتفك مغلق وقد قلقت عليك ، فقررت المجيء
* بالتأكيد لن أخبره بأنني حاولت الإنتحار
سيحزن كثيراً إذا عرف *
ـ لا تقلق أنا بخير .
= لا يبدو ذلك يا وحيد وجهك شاحباً
وصوتك يبدو متعباً ، أخبرني ماذا بك .
ـ ماذا أقول لك يا عمي ، الأمور لا تمضي على ما يرام
بالرغم من كل محاولاتي في التغلب على الألم
لكنني أفشل ، إنه تماماً مثل شيء ما بداخلك
ينكسر ولا يشفى أبداً ، لا تزال هناك ندبه ،
الألم لا يزول حقاً .
= ولكن يا بني لا بد أن ترضى ، هذا هو قدرك .

ـ ومن قال أنني لم أفعل ؟ !
وكم أردت أن تلتئم هذه الجروح لأنجو
ولكنها تبقى رغماً عني .
= الشفاء يأتي على مراحل
والجروح تحتاج وقت لتلتئم ، فقط أصبر .
ـ لو كانت المسألة مسألة وقت ،
ما كنت أنا الأن أتألم لقد مر الكثير وأنا أنتظر ،
ولكن عبثاً ، الوقت لا يستطيع تغيير أي شيء .
= أنت مخطئ يا وحيد لا يوجد ألم يبقى للأبد ،
حتماً سيطفئ الوقت حرقة قلبك .

عندما غادر العم يونس كان الليل قد حلَّ
وبدأ الهدوء يعم المكان .
شعرت وكأنني أغرق في وحدتي
لدرجه أنني لم أستطع التنفس
ودفعتني رغبة شديدة في الخروج من المنزل .
أخذت أمشي في الظلام على طول الطريق
كمن تخلى عن قدمه حتى أهلكني التعب ،
وعلى مقعد بالقرب من البحر
جلست أفكر فيما قاله ليَّ العم يونس ،
وشردت بالأعماق وأنا أنظر إلى حالة البحر
كان يتموج ثم يتوقف ببطء ،
وكأنه يرسل لي تلميحاً بأنه هو أيضاً يمكنه أن يهدأ
لكنه يحتاج لبعض الوقت .
عدت إلي المنزل ، وعندما وصلت
قمت بإضاءة مصباح صغير موجود في الممر الضيق
المؤدي إلى غرفتي ثم ذهبت إلى الفراش مباشرة
واستسلمت للنوم فهذا أفضل شيء يمكنني فعله الآن .

استيقظت من النوم متعباً
وقد أحسست بألم في صدري
حاولت النهوض ولكن مع الحركة الألم يشتد
فجلست على طرف السرير
وفتحت درج المكتب المجاور
أخرجت المسكن وتناولت قرصاً منه
ليخفف الألم قليلاً ثم ارتديت ملابسي
وذهبت إلى الطبيب مباشرةً
وقد أخبرني انه مجرد ألم وهمي
نتيجة القلق والإكتئاب المسيطر عليّ ،
ونصحني بحضور جلسات للعلاج النفسي
إذا تكرر هذا الألم مرة أخرى .
وقد استحوذ على عقلي تأويل عبارةً باح بها هذا الطبيب
حين قال أن المكتئبين أنواع :
بعض منهم يكافح من أجل إبتهاج أنفسهم
والبعض الآخر يعتقد أن جهودهم في تجاهل الحزن
لا يفيد ويبررون ذلك بأن الحياة هي التي جعلتهم هكذا

تركت الطبيب وأنا عاقد العزم
على أن أجد طريقة ما لتقبل حياتي
وأن أضع حداً لاستسلامي
لقد أضعت نصف عمري في الاستسلام للإكتئاب
والحزن وليس لدي أيَّ نية لإضاعة الباقي
هذه المرة أنا مصمم على أن أكون قوياً
ولن أسمح لليأس بأن يؤثر عليَّ .

في طريق عودتي للبيت
كنت مشغولاً بالبحث عن الأمل في كل مكان
فرفعت وجهي إلى السماء ،
وكانت صافية بدون غيوم والشمس مشرقة ،
ثم أخذت نفساً عميقاً من هواء الصباح الفاتر
ونظرت حولي ،
كانت الأرض مليئة بالأعشاب والأشجار الصغيرة
كل شئ جميل جداً ورائع
حتى أنني اكتشفت أن العالم الذي كنت أعرفه دائماً
يمكن أن يكون جميلاً وأنا يمكنني أن أكون سعيداً .
وقد شعرت برغبة شديدة في الذهاب إلى مقهى
لأستمتع بكوب قهوة وهذا على غير العادة
لأنني لا أحب الأماكن العامة وأُفضِّل أن أكون وحدي
على أي حال ، التجديد شيء جيد
وبالفعل وصلت لمقهى قريب من الميناء
كان بسيطاً لكنه مريح

يوجد به طاولات ومقاعد خشبية ،
وكانت جدرانه بيضاء اللون
ويتميز بنوافذ زجاجية تطل على البحر .
وبينما كنت أستمتع برائحة القهوة
التي كانت تملأ المكان ، لفت انتباهي فتاة تجلس
وقد طلبت اثنين من الشاي ،
ربما كانت تنتظر أحد ما ، لكنه لم يأتي فغادرت .
أما أنا فعدت إلى المنزل
غيرت ملابسي وخلدت للنوم .
استيقظت في الصباح نشيطاً
فأنا لم أنم جيداً هكذا منذ زمن طويل
ثم استعددت للعمل وخرجت ، كان الهواء دافئاً
وقد حولت الشمس حواف الأمواج إلي ماسات متلألئة .
كانت قوارب الصيادين تتجه بسرعة نحو البحر
لأن الصيادين كانوا يعرفون جيداً
أنه يوماً مثالياً للصيد لذا اتجهت نحو قاربي
في سبيل رحلة صيد ممتعة ومليئة بالخير .

دخلت المطبخ بمجرد وصولي للمنزل
لإعداد الطعام وقد اخترت شوي السمك وجبة للغداء
لأنه جيد المذاق ولا يتطلب الكثير من التنظيف
بالمناسبة أنا بارع جداً في أمور الطبخ
وخصوصاً الأكلات البحرية ، حتى انني أفكر جدياً
في فتح مطعم للأسماك والمأكولات البحرية .
في اليوم التالي استيقظت باكراً
وكعادتي ذهبت إلى الصيد
وقد لمحت فتاة تجلس على الشاطئ
ولكن ما الذي جاء بها إلى هنا في هذا الوقت ؟ !
كان شعرها أسود طويل
ولكن ملامحها لم تكن واضحة
لأنها كانت تنظر باتجاه البحر ،
أهذه حورية البحر أم ماذا ؟
اقتربت منها أكثر فأدارت وجهها لي ،
لحظة ! انها نفس الفتاة التي رايتها في المقهى

مرَّت بضع ثواني ونحن نتواصل فقط بأعيننا
بدون كلام ثم كَسَرَت الصمت وقالت :
ـ لماذا تنظر إليَّ هكذا؟
= هل ستصدقيني إذا أخبرتك
أنني لوهلة ظننتك حورية بحر ؟ !
فضَحِكَت وقالَتْ : ـ وهل رأيتها من قبل ؟
= لا ولكن سمعت الكثير عنها في صغري
كان الصيادين خلال النهار يصطادون في البحر
وفي المساء يستمعون إلي القصص الخيالية
التي يحكيها العم رِفعت حول نار المخيم
كان العم رِفعت صياداً كبيراً
وكان والده بحاراً ايضاً ،
ويَعرف الكثير عن أسرار البحر وخباياه
وقد كنت أجلس وأستمع لما يقوله
من حكايات وأساطير عن البحار والمحيطات
وخاصة تلك التي تتعلق بحورية البحر ،
ولكن لطالما كنت مستأناً من هذه القصص .

ـ ولما ؟ !

= سأخبركِ ، تقول الأسطورة أن حورية البحر
هيَ أجمل المخلوقات البحرية
لديها شكل سيدة جميلة حتى الخصر
أما النصف الآخر ذيل سمكة
مع وجود قشور أرجوانية وخضراء
شعرها طويل وناعم يطفو في كل مكان حولها على الماء
عندما تصعد فوق الأمواج وتبدأ في غناء الأغاني
التي تلامس القلب ، إذا كان هناك شخص سيء الحظ
ورائها ، فإن جمالها وصوتها الرائع يسحره
فيلقي بنفسه في الأمواج للوصول إليها ،
أما عن حورية البحر فليس لديها أي قلب
تظل تضحك بينما هو يغرق .

ـ كيف يمكن أن تكون حورية البحر بكل هذا الجمال
وبداخلها هذا القدر من القسوة !

= لا أحد يعرف .

إذ لم يعش من رآها فكيف سيخبرنا عنها ؟ !

إمتلأ المكان بالصيادين فهمَّت بالذهاب
ولكن مهلاً أنا لا اعرف حتى اسمها
فأوقفتها وقلت لها :
ـ على الأقل أخبريني ما اسمك قبل أن تذهبي
= الوقت ليس مناسباً الآن للتعرف
ما رأيك أن نلتقي غداً الساعة التاسعة صباحاً في المقهى ؟
فوافقت على الرغم من أن الأمر يبدو غريباً بالنسبة لي
إلا أنه كان من الجميل أن أشعر بأن شخص ما يود رؤيتي
لدرجة أنني في تلك الليلة لم أنم على الإطلاق .
وقد قضيت الليل كله مستيقظ أحدق في الساعة
كنت أنتظر الصباح بفارغ الصبر لنلتقي
وهل يوجد تفسير منطقي لما يحدث لي الآن ؟ !

الساعه الآن التاسعة صباحاً لقد حان لقاءنا أخيراً
فذهبت إلى المقهى وقبل أن أدخل إذ بها وصلت أيضاً
رحبت بها وسلمت عليها .
ـ مرحباً أنا وحيد .
= وأنا ملك ، تشرفت بك .
جلسنا وقد أمضينا الدقائق الأولى
ونحن ننظر إلى بعضنا البعض بفضول
كانت ترتدي فستاناً أحمر لطيف
وقامت بلف شعرها إلى كعكه فوضوية
كانت جميلة بحيث لا أستطيع أن أوقف النظر إليها
كنت أحاول أن أُبقي نظري عند النافذة
وأنظر إلى البحر وقد بقينا على هذا الحال بضع دقائق
ثم تحدَثَت أخيراً .
ـ أخبرني الآن هل تنظر إلى البحر كثيراً
حتى استقر هكذا في عينيك ؟
يقولون انه من الممكن أن تغرق في عينين
أعتقد أن صاحب هذه العبارة كان يقصد عيونك بكلامه .

أعجبتني جرأتها ولا اخفي عليكم
كنت سعيداً لسماع هذه الكلمات
وخاصة أن هذه هي المرة الأولي
التي أسمع فيها مجاملة من إمراة
كنت أود أن أخبرها كم هي فتاة رائعة
وأبدي إعجابي بها أيضاً ولكنني صمتُّ ،
وأكتفيت بشكرها فهناك كلمات لا أستطيع قولها
ربما صوتي لا يخرج ، ساد الصمت بيننا مرة أخرى
فقررت أن أسالها عن ذلك الشخص الذي كانت تنتظره ،
فاخبرتني بأنه كان والدها فهو يعمل هنا
وقد جاءت لزيارته لأنه منغمس في التجارة
ونادراً ما تراه وإلى الآن لم تتسنى لها الفرصة لمقابلته .
وبعد أن انتهى حديثنا عدت للتو إلى المنزل ،
ثم قمت بتشغيل التلفاز لكنني لم أكترث له
كنت منشغلاً بالتفكير في ملك
وقد قضيت النهار كله وأنا أتردد إلى المرآة
وأحدق في عيناي بينما أتذكر ما قالته لي

ثم سمعت طرقاً هادئاً على الباب ، ففتحت
ويا للدهشة إنها ملك .
ـ أنتي ! ! كيف وصلتي إلى هنا ؟
= هل ارحل !
ـ لا أنا آسف جداً لم أقصد هذا ،
ولكنني صُدمت بمجيئك ،
فأنتي آخر شخص أتوقع أن أره على بابي .
= سألت عنك وقد دلَّني شخص ما .
ـ وما الأمر ؟
= لقد اتصل بي أبي فور خروجنا من المقهى ،
ليخبرني أنه يريد لقائي اليوم ،
أشعر بأنني لا أمتلك الشجاعة لمواجهته
وأنت من خطر على بالي ، فأنا لا أعرف أحد هنا غيرك .
ـ هذا خبر جيد ، أين المشكلة ؟ أليس لهذا السبب اتيتي ؟
= بلا ، ولكن هل تعرف متى كانت آخر مرة رأيت فيها أبي ؟
مازلت أتذكر ذلك اليوم ، كنت في التاسعة من عمري
عندما قرر والداي الإنفصال ، وغادر أبي المدينة

حيث قرر أن يعيش حر وحده ، ويكرس حياته للعمل
فقد نشأ في عائلة فقيرة جداً ،
وكان مجرد فكرة تكرار حياة والده الفقير معه تخيفه بشدة .
حتى أمي هي الأخري ذهبت لتعيش حياتها وتتزوج
وتركتني مع جدتي التي استقبلتني عندها
وساعدتني على النجاة من الوحدة والحزن
وحاولت أن تعوضني ، في البداية كان الأمر على ما يرام
ولكن مع الوقت كبرت جدتي
وكانت تعاني من مشاكل في ساقيها
لذا كانت تتحرك بصعوبه كبيرة فتوقفت عن العمل
وبناءً على ذلك لم يكن لديها سوى القليل من المال
من معاشها التقاعدي وفي بعض الأحيان
كانت تحيك الملابس وتبيعها
لتحصل على دخل إضافي بسيط ،
وفي كل مرة كانت جدتي تطلب من والدتي
أن ترسل لنا المال كانت دائماً تقدم الأعذار
لعدم قدرتها على إرسال أي شئ إلينا

وبعد ذلك عرفت أنها سافرت مع زوجها لبلد بعيدة
وانقطعت أخبارها ،
اما بالنسبة لأبي فقد نسيَ أن لديه ابنة ؛
ليسأل عن أحوالها
ولكن بالرغم من أنه لم يمنحني الحب والإهتمام
وكل ما رأيته منه هو الجفاء والإهمال ،
الا انني افتقد كتفه دائماً في الحياة ...
أي نوع من الأباء هولاء !
لم أكن أعرف ماذا أقول ،
لم يكن بوسع الكلمات أن تعزيها ،
كانت في حيرة من أمرها هل تنسحب
وتعود من حيث أتت أم تكمل ما جاءت لأجله
كانت تأمل بأنه إذا رآها فسيحن قلبه ،
ولكن يبدو أن المشاعر لا تعرف لقلبه طريق ،
لقد خافت من أن يكسر قلبها مرة أخري
وقد صدق إحساسها ،
ومنذ ذلك اليوم لم أراها مرة اخرى ، وأنتهت القصة .

شعرت باستياء وخيبة أمل لا يمكن تفسيرها
وخَيَّم الحزن على قلبي مرة أخري ،
فقد جاءت إلى حياتي على وجه التحديد
في الوقت الذي سئمت فيه من الوحدة
حتى لو كانت مجرد شخص عابر فلقد تورطت وتعلقت بها .
كان كل ما أريدة فقط أن يكون بجانبي شخص
يفهمني ويهتم بي ، ولكن كالعادة الحياة ليست عادلة .
كم أتمنى نسيان الأشياء السيئة التي حدثت لي
أريد أن أترك كل شيء في طيّ النسيان التام
لا أريد أن يكون لي اي علاقة بالماضي .
كنت في البيت طوال اليوم فخرجت للبحر
وكان كل شيء صامت بلا حراك
لم يكن هناك أي شراع ليعلن عن اقلاع سفينة
ولا دخان من قمع باخرة بعيدة
ولا طائر نورس واحد في السماء .
جلست أحدق في الفراغ
ولم أكن أعلم كم من الساعات مرت وأنا على هذه الحالة

كنت أشعر بالضياع وبداخلي فوضى عارمة
شعور سيء لم يكن من السهل التغلب عليه
ما كان عليَّ فعله كعادتي كلما قست عليّ الحياة
هو الذهاب للعم يونس ، وبالفعل ذهبت إليه وأخبرته بأمر ملك
فقال : ـ لا يوجد شيء في الحياة يسمي صدفة
مادام الله قد أخرج تلك الفتاة في طريقك ،
فلا بد أن هناك سبب وحكمة وراء ذلك
لتدرك أن لا أحد يمتلك حياة وردية كما تظن
فلكل منا ألمه الخاص ، الجميع يعاني لكن بطرق مختلفة
مشكلتك أنك تعتقد أنه لا يوجد أحد حزين في هذا العالم
سواك وهذا خطأ ، لا توجد حياة بدون صعوبات
ولن تجد إنسان قوي بدون ماضي مؤلم ،
فبدلاً من السماح لذلك الماضي بتدميرك ،
حوِّله إلى طاقة تساعد بها نفسك والآخرين
أنظر حولك يوجد آلاف من الأطفال المشردين في الشوارع
انهم يقاسون مثلما قاسيت ، لماذا لا تذهب إليهم وتساعدهم ،
صدقني ستجد السعادة والسلام .

استحوذ على عقلي ما قاله العم يونس ،
وخيمت عليَّ ذكريات الطفولة وتذكرت معاناتي ،
لقد كانت هناك أوقات كثيرة كنت أتضور فيها جوعاً
ولم أكن أملك ايّ ملابس أو ألعاب
وإذا أعطاني شخص شيئاً ما كانت تغمرني السعادة
مازلت أتذكر كان هناك متجر للألعاب
كلما مررت من أمامه كنت أقف أمام النافذة والتصق بها
لأرى الألعاب الموجودة به عن قرب
وفي كل مرة يخرج صاحب المحل ويقوم بطردي .
في الصباح كنت في محل الألعاب نفسه
اشتري بعض الألعاب للأطفال
ومن بعده دخلت محل للملابس ،
وقد لمحت معطف شتوي لونه أزرق داكن
إنه يشبه معطفاً كان لي في الماضي ،
بالرغم من أنه كان قديماً وليس به سوي زر واحد
إلا انني كنت أحبه وأرتديه دائماً .
اشتريت ذلك المعطف واشتريت بعض الملابس الأخرى

ثم اتجهت حيث يعيشون هؤلاء الأطفال ،
وعندما رأوني حاملاً الألعاب والملابس
جآوا يركضون من بعيد ، وبدأت بتوزيع الأكياس عليهم
كانوا سعداء جداً وكنت سعيداً أنا أيضا لرؤيتهم سعداء .
وعندما كنت في طريق عودتي للمنزل
صادفت مجموعة من الرجال يجلسون
كانوا يتحدثون عن مشاكلهم الكثيرة التي لا تنتهي
سواء مشاكل في العمل ، الإيجار ، الضرائب ، الخيانة ،
المرض وغلاء الأسعار ... إلخ .
عندما أستمعت إليهم ، أدركت أنَّ أسعد شخص تقريباً
ربما يكون نائماً بعمق الآن ويحلم .

علي الرغم من أن الأمور ظلت على حالها
لكن نظرتي إليها تغيرت ،
أصبحتُ ممتن لله على جميع النعم التي رزقني إياها .
وفي غضون شهر واحد تحسنت حياتي بشكل كبير
وتحقق الحلم أخيراً ،
فاليوم هو يوم افتتاح مطعمي .
في الطريق رافقتني العصافير المبهجة
تبلغني سلامها وتسألني هل أنت مستعد للقاء اليوم المنتظر؟
كان المطعم قريباً جداً من البيت
وفي نفس الوقت يطل على البحر
على الرغم من أن الإيجار كان غالياً
ولكن أنا لا استطيع البقاء لفترات طويلة بدون رؤية البحر .
رحبت بالزبائن وجلست أنظر للبحر الذي أخذني إلى الوراء
لأتذكر ذلك الطفل الصغير المهجور الذي كنته ذات يوم
لقد أدركت أنه حاول أن يكون أفضل بأقصي ما لديه من قوة
بالرغم من أنه لطالما ضل الطريق إلا أنه وصل في النهاية .

لقد عانى كثيراً ولكنه الآن أصبح رجلاً
رغم أنف الصعوبات التي واجهها
أستطاع أن ينجو ويحقق أحلامه .
قطع شرودي يد وضعت علي كتفي ، إنه العم يونس .
ـ أهلاً بك ، سعيد برؤيتك هنا .
= أهلاً بك يا وحيد ، لقد جئت لأهنئك بافتتاح المطعم .
ـ شكراً لك يا عمي ، تفضل بالجلوس .
= ياله من مطعم رائع يا وحيد ، كم أنا سعيد لأجلك ،
ولكن ينقصك الآن شيء واحد فقط .
ـ وما هو ؟ !
= أن تحب وتتزوج يا بني .
ـ لقد أحببت مرة ، من الصعب أن أحب مرة اخرى .
= صدقني من ينظر إلى هاتين العينين
لا يمكنه تركهما بسهولة ، من يدري ربما ستعود مرة أخرى .